الفصل الثامن

اللغة المنطوقة وعامل الإعداد

اللغة المنطوقة وعامل الإعداد

نود أولاً أن نقدم نموذج الكتابة والكلام عند جريجوري الذي يوضحه بالشكل التالي (الشكل ١١):

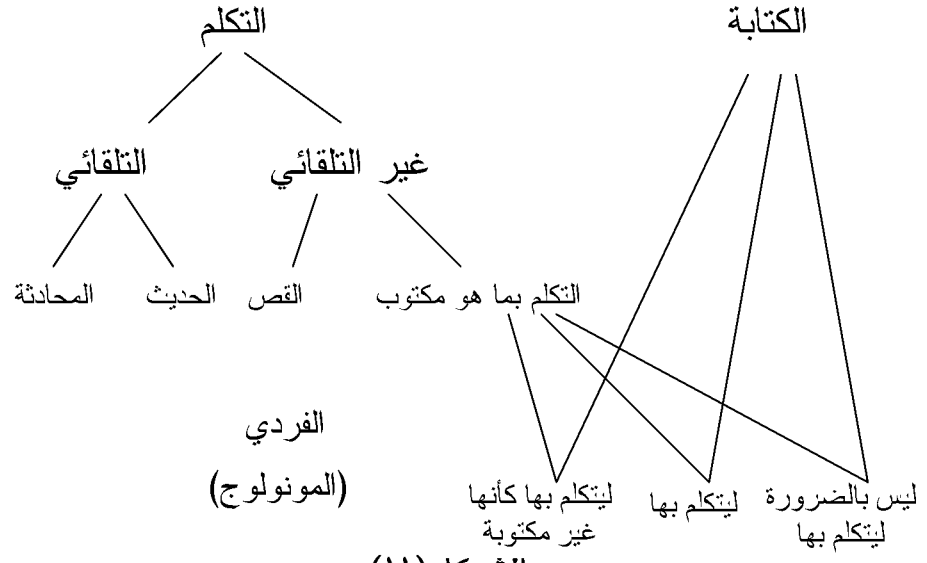

الشكل (١١)

وإذا كنا قد عرضنا فيما سبق للديالوج والمونولوج، فإن الذي ينبغي الالتفات إليه في الشكل السابق هو القص Reciting. فالقص خليط من الشفرتين: المكتوبة والمنطوقة. وعندما ننظر إلى الشكل السابق في ضوء عامل الإعداد، يمكننا أن نصل إلى تفريق جديد بين هاتين الشفرتين: فهناك أقوال معدة وأقوال غير معدة. ولا يتداخل هذا التقسيم مع تقسيم جريجوري في رسمه إلى: تلقائي وغير تلقائي؛ ذلك أن "غير التلقائي" يعني هنا عملية التلفظ أو التصويت Phonisierung بأقوال معدة من قبل (مكتوبة كتابة مباشرة أو غير مباشرة).

إن قراءة نص مكتوب أو تسميع نص من الذاكرة، أمران مختلفان عن إنتاج نص شفهي بعد إعداد وتجهيز. إن نصًا بني على هذا النحو - حتى وإن تم تشفيره Kodierung[1] إلى حد ما على غرار نسق الجملة في

(1) ونعني بالتشفير هنا إعادة كتابته وفقًا للرسم الإملائي وعلامات الوقف والترقيم في الشفرة المكتوبة.

اللغة المكتوبة- هو دائمًا نص شفوي مباشر. إن وقت الإعداد مع الأقوال الشفهية محدود دائمًا (الكلام الحر، المقابلات... الخ) بالقياس إلى وقت الإعداد غير المحدود مع الأقوال المكتوبة[1].

والحق أننا إذا نظرنا إلى درجات الإعداد في اللغة بعامة في شئ من التدقيق، لرأينا ما يلي:

أولاً: أن اللغة لا تخلو في أشكالها كافة من مدة للإعداد.

ثانيًا: أن مدة الإعداد مع الأقوال الشفهية قصيرة جدًا، لا تكاد تحسب. ولذلك يقال بأن الأقوال الشفهية عادة غير معدة، وأن هذا الضرب من الإعداد هو – بالأحرى – نوع من التروي.

وقد فطن إيجلسون Eagleson إلى هذا الأمر؛فعنده أن أهم فرق يميز بين الشفرتين تمييزًا بنائيًا هو الفرق بين الكلام المتروي Premeditated والكلام غير المتروي Unpremeditated[2].

ثالثًا: أن ما سبق يفتح الباب كذلك للقول بأن الشفرة المكتوبة تعرف درجات متفاوتة من الإعداد؛ فقد تنخفض درجته جدًا (على نحو ما نجد في المذكرات والرسائل الشخصية). وقد تكون معدة أو معدة إعدادًا خاصًا (على نحو ما نجد في حالات كثيرة مثل: التقارير العلمية، والخطب السياسية، والمرافعات والأمور القضائية...الخ).

رابعًا: أنه يفتح الباب - من ناحية أخرى- للقول بأن الشفرة المنطوقة قد تكون قابلة للإعداد أحيانًا، بل قد تعلو فيها درجة الإعداد بالقياس على المعتاد في الكلام التلقائي، كما نجد في إلقاء المحاضرات، أو مناقشة الرسائل الجامعية، أو في بعض البرامج العلمية التليفزيونية؛ أي في الحالات التي لا يتغير فيها المتكلمون غالبًا.

خامسًا: أنه في حالة الديالوج تكون الأقوال الشفهية تلقائية وغير معدة. أما الأقوال المكتوبة، فهي ليست قابلة للإعداد فحسب، بل لا تكون عادة إلا معدة، مهما انخفضت فيها درجة الإعداد.

---

(1) Soell, op. cit., S. 22

(2) Eagleson, R., D., Premeditated and unpremeditiated Speech, in English Studies 39 (1985) pp. 145-154, p. 153

سادسًا: أن التفاوت أو التذبذب في عامل الإعداد بين الشفرتين يتخذ أداة للقول باقتراب أساليب إحداهما من أساليب الأخرى؛ فالملاحظ أنه كلما انخفضت درجة الإعداد في الشفرة المكتوبة اقتربت من نظيرتها المنطوقة، بل ربما وصل هذا الاقتراب – أحيانًا – إلى حد التداخل بينهما في العملية التبليغية، بمعنى استعارة إحدى الشفرتين بعضًا من العلامات والخصائص اللغوية البنائية المميزة للشفرة الأخرى.

وأود أن أشير هنا إلى ملمح رئيس من ملامح السرد الروائي المعاصر؛ وهو الاقتراب من المواصفات البنائية والوظيفية للشفرة المنطوقة. ونحسب أن اقتراب الشفرة المكتوبة في السرد الروائي المعاصر من نظيرتها المنطوقة، يعكس نوعًا من التناغم بين البناء السردي والبناء الحواري داخل الرواية. ولنا أن نراه نوعًا من الانتقال من وظيفة الراوي الحصيف إلى وظيفة المتكلم العادي الذي يلغي المسافة بينه وبين قارئه بعفويته وتلقائيته.

ونلفت النظر هنا – على وجه الخصوص – إلى اثنين من أبرز الروائيين المصريين من جيل ستينيات القرن العشرين الذين عرفوا بهذا التكنيك، وهما يوسف القعيد وجمال الغيطاني.

على أية حال، فإن درجة التعليم تلعب دورًا في اختيار المتكلم تنويعاته وأدواته اللغوية، وإن كان سول Soell يجعل هذا العامل عاملاً ثانويًا[1]. والواقع أن هذه النظرة ليست نظرة مطلقة؛ ذلك أن درجة التعليم أو التعليم بعامة، مما يؤثر تأثيرًا كبيرًا في شكل الشفرة ومكوناتها، لاسيما في البلدان التي يتسع فيها البون بين المتعلم والأمي كالبلدان العربية بعامة، أو مناطق جغرافية معينة منها.

ومهما يكن من أمر، فإن الذي لا خلاف فيه أن التمييز بين الشفرات يتجلى تجليًا رئيسًا من خلال المستويات اللغوية Sprachregister (= Sprachniveau) ومن خلال الممارسة اللغوية Sprachpraxis ذاتها. ولننظر الآن إلى الشكل التالي (الشكل ١٢):

---

(1) Soell, op. cit., S. 44

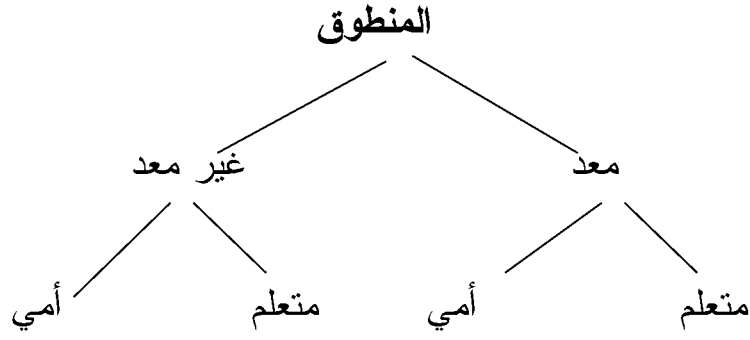

الشكل (١٢)

وبالنظر إلى هذا الشكل، نلحظ الابتعاد عن معيارية لغة الكتابة كلما اتجه بنا البصر ناحية اليسار.

وقد حاول جان بيتار Jean Peytard أن يصل إلى تصنيف أوسع للأقوال الشفهية عن طريق تناول العلاقة بين المرسل (المتكلم) والمستقبل (المستمع). وقدم لذلك نموذجًا مصنفًا على أساس السمات التالية:

المستقبل الحقيقي / المستقبل المفترض،

المستقبل القريب / المستقبل البعيد،

الاحتكاك المباشر / الاحتكاك المتباين،

التبادل / الكلام من جانب واحد،

الإثارة المباشرة / الإثارة غيرالمباشرة.

وتحتوي السمة الأخيرة على المثيرات التعبيرية الشفوية المباشرة؛ أي المثيرات التي تعتمد على نص مكتوب. وهي سمة لا تضم الشفرة المنطوقة وحدها، بل تسري كذلك على الشفرة الصوتية Code phonique. ويبدو نموذجه – مع شئ من التغيير والاختصار – فيما يقدمه الشكل التالي (١٣):

السمات / الأنماط	حقيقي	قريب	غير مباشر	مباشر	تبادلي
١- المحادثة	+	+	+	+	+
٢- محادثة تليفونية	+	−	+	+	+
٣- محادثة عبر الراديو أو التليفزيون	−	−	(± ٠)	+	−
٤- لغة المسرحية	+	+	+	−	−
٥- لغة المسرحية التليفزيونية	−	−	(±)	−	−

الشكل (١٣)

ويبدو من هذا الجدول أن النمط (١) وهو المحادثة ذات العلامة + مع السمات الخمس جميعها، هو أكثر الأشكال من حيث كونه طبيعيًا وغير مباشر، هاتان السمتان اللتان يعرفهما القول الشفهي. أما النمط (٢) فيصور المحادثة التليفونية، ويرمز معه بالعلامة − (في خانة: قريب)، حيث لا يكون لتعبيرات الوجه أو حركات اليدين دور مباشر. أما النمط (٣)، وهو محادثة المشاهدين أو المستمعين (عبر جهاز التلفزيون أو الراديو)، فيمثل سمة أساسية للشفرة المنطوقة وللإثارة المباشرة direkte Stimulation. وأخيرًا، يمثل النمطان (٤) و(٥) نوعين من الشفرة المنطوقة التي تثير إثارة غير مباشرة (مكتوبة). وليست اللغة المنطوقة من هذا النوع لغة تلقائية. وإذا تصورنا أن النصوص المسرحية نصوص شفهية خالصة، وهو تصور مشكوك في صحته[1]، فإن المقارنة بين التصور الشفهي والتحقق الشفهي الفعلي تكشف عن فقدان جانب من المشافهة الحقيقية أو

(1) وذلك أن وجود نص أدبي مكتوب صاحبه واحد وموجه للخطاب – وفقًا لاعتبارات فنية مقصودة – يلغي صفات التلقائية الحقيقية والتميز الأسلوبي الفردي الحقيقي. وهي صفات ترتبط باعتبارات عدة تخص المتكلم في اللغة المنطوقة الحقيقية.

الأصلية urspruengliche Oralitaet نلحظه في شفرة الكتابة code graphique.

وقد حاول سول ترتيب أنماط القول الخمسة التي عرضنا لها الآن وفقًا لتدرج السمات: "مباشر" و"تبادلي" و"قريب" (=مرئي) ترتيبًا تدريجيًا على هذا النحو (الشكل ١٤):

	١	٢	٣	٤	٥
(صوتيًا)	الشفرة الصوتية				
"مباشر"	مشافهة مباشرة (شفرة منطوقة)				
"تبادلي"	مشافهة تبادلية				
"قريب"	النمط الأصلي للمشافهة (١)				

الشكل (١٤)

ويتضح لنا من هذا الترتيب التدريجي الذي اقترحه سول أن الشفرة الصوتية تغطي الأنماط جميعها على نحو لغوي اعتيادي، باستثناء النمط الخامس (المسرحية التلفزيونية) الذي تتدخل فيه عوامل صوتية غير لغوية وعوامل أخرى تتعلق بالإخراج بوجه عام. إنه إذن ليس نمطًا لغويًا محضًا. وقد رمز إلى ذلك بالنقاط الرأسية.

من ناحية أخرى، فإن الشفرة المنطوقة تتسع حتى تضم الأنماط الثلاثة الأولى؛ أي المحادثة المعتادة، والمحادثة عبر وسيط (كالتليفون أو جهاز الراديو والتلفزيون). هذه الأنماط من المحادثة هي – في نهاية الأمر – ضروب من المشافهة التلقائية المباشرة. أما المشافهة التبادلية؛ أي التي يتبادل فيها جانبان الحوار، فتنحصر في النمطين: الأول والثاني؛ ذلك أن النمط الثالث لا يكون تبادليًا بالمفهوم الحقيقي للتبادل؛ لأنه يصدر من متكلم إلى مستمع أو مشاهد عبر وسيط، فالذي ينتج عن العملية

(1) Soell, op. cit., S. S. 46-47

التبليغية هو نوع من الاستجابة (الإصغاء، القبول، الرفض، ...الخ) وليس نوعًا من المشاركة الفعلية الحقيقية في الحديث.

فإذا ما وصلنا إلى النمط الأول، كانت المشافهة الحقيقية، أو المشافهة بمفهومها الأصلي؛ لأنها تنتج عن محادثة عن قرب.

ويشترط هوجو ستيجر Hugo Steger لإدخال نص ما في إطار اللغة المنطوقة الخالصة شرطين اثنين رئيسين:

أولهما: ألا تكون هذه اللغة مكتوبة أو مدونة من قبل.

والآخر: ألا تكون مستخدمة في حديث بعينه بعد إعداد طويل[1].

ويلاحظ، من ناحية، أن هذين الشرطين يؤكدان عدم الإعداد والقصدية في اللغة المنطوقة. كما ينبغي، من ناحية أخرى، الإشارة إلى أن هذين الشرطين قد اتفق عليهما – بوجه عام – في بحوث اللغة المنطوقة، يقول هانز إيجرز Hans Eggers مثلاً:

"إن من يقرأ نصًا مكتوبًا معدًا قراءة حرفية، أو ينشد شعرًا، يبقى نطقه – بالطبع – محصورًا في نطاق اللغة المكتوبة"[2].

ونسوق الآن مثالاً يبين لنا الحدود الفاصلة بين الشفرتين في ضوء الشرط الأول الذي اشترطه ستيجر، وهو شرط مهم؛ فنشرة الأخبار الإذاعية أو التلفزيونية تبدو – كما نعرف – في هيئة نصوص ملفوظة، تعد احتذاء بمواصفات اللغة المنطوقة. ويقود التزامن في الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع إلى استخدام نماذج مبسطة من الجمل، وإلى تكوين الجمل السريعة التي يمكن فهمها، وإلى التخفف من علامات الإعراب بالتسكين حتى فيما ينبغي له أن يكون موصولاً، وإلى البناء النصي غير المعقد. ولا تحتاج لغة الصحافة إلى مراعاة ذلك بالضرورة؛ فالنطق الشفهي لنص إخباري (إذاعي أو تلفزيوني) معد يدخل في الشفرة المكتوبة؛ لأنه قد دون من قبل. وعند صياغة خبر صحفي في نص إخباري

---

(1) Soell. Lp. Cit., S. 48

(2) Eggers, Hans, Zur Syntax der deutschen Sprache der Gegnwart, in Studium generale 15, (1962) SS. 49-59, S. 50

(إذاعي أو تلفزيوني) يتضح لنا الاقتراب من الشفرة المنطوقة والاستمساك بالشفرة المكتوبة في الوقت نفسه على النحو التالي:

النص الإخباري الصحفي:

(يشهد... رئيس مجلس الوزراء وعدد من الوزراء حفل تسليم مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات رسميًا إلى هيئة المؤتمرات الدولية. ويلقي كل من الفريق... وزير الدفاع كلمة في الاحتفال وكذلك دكتور... وزير شئون مجلس الوزراء و... وزير السياحة، و... وزير الإنتاج الحربي ودكتور... وزير الاقتصاد ودكتور... وزير التعاون الدولي ودكتور... محافظ القاهرة. وسيتم تبادل وثائق التسلم التي وقع عليها وزير التعاون الدولي مع حكومة الصين. وسيسلمها بدوره للهيئة العامة للمؤتمرات برئاسة... وزير السياحة، حيث يتم تسليم المركز رسميًا للهيئة التي صدر قرار جمهوري بإنشائها.

ويتخلل الاحتفال عروض موسيقية تقدمها الفرقة العسكرية بالزي الفرعوني في موكب كبير.

مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات من أحدث المراكز في العالم وتكلف ٣٠٠ مليون جنيه بتمويل من الصين بقرض ميسر بفائدة بسيطة على مدى طويل. وأقيم المركز على مساحة ٧٠ فدانًا، واستغرق بناؤه حوالي ٣ سنوات.

المركز يستقبل اجتماع وزراء الخارجية بالدول الإسلامية نهاية الشهر الحالي، كما يعقد به المؤتمر الدولي لاتحاد شركات السياحة (الأوفتا) في نهاية سبتمبر وكذلك مؤتمر منظمة (الإستا) اتحاد شركات السياحة الأمريكية عام ١٩٩٢م. وقد تم تعيين اللواء مهندس... نائبًا لرئيس الهيئة ورئيسًا للجهاز التنفيذي).

النص الإخباري التلفزيوني:

(تم اليوم تسليم مركز القاهرة الدولي للمؤتمرات إلى الهيئة العامة لمراكز المؤتمرات برئاسة السيد... وزير السياحة والطيران المدني الذي

وقع خطة التسليم مع الدكتور... وزير الدولة للتعاون الدولي واللواء... مساعد وزير الدفاع والإنتاج الحربي نائبًا عن القائد العام للقوات المسلحة ووزير الدفاع والإنتاج الحربي. وقد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير شهده دكتور... نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية والدكتور... محافظ القاهرة.

ألقى وزير السياحة كلمة أعلن فيها ترحيبه والمركز الدولي للمؤتمرات باستضافة المؤتمرات الدولية بالمركز، كما أشاد بدور جمهورية الصين الشعبية بإقامة وتشييد هذا الصرح العظيم. أشاد أيضًا بدور القوات المسلحة في إقامة هذا المركز وقدرتها على البذل والعطاء في السلم والحرب. وألقى اللواء... كلمة وجه فيها الشكر إلى جميع أجهزة الدولة وتعاونها مع القوات المسلحة ودور جمهورية الصين الشعبية في إنجاز هذا المركز الذي يعد نموذجًا للتعاون الدولي بين الشعوب. وقدم اللواء مهندس... نائب رئيس المركز تقريرًا عن المركز وإمكاناته لإقامة سياحة المؤتمرات وعقد الاجتماعات والمجالس القومية المحلية وتشجيع عقدها في مصر.

تقودنا المقارنة بين النصين السابقين إلى الملحوظات التالية:

(١) اختلف زمن الفعل بين النصين، باعتبار النص المكتوب في الصحيفة إخبارًا بما لم يتم حدوثه بعد، بينما اعتادت نشرة الأخبار: الإذاعية والتلفزيونية الإخبار عما حدث بالفعل. ومن هنا اختلفت المعلومات شيئًا ما بين النصين، ومثال ذلك أن رئيس الوزراء لم يكن – في النص الإخباري التلفزيوني – ممن شهد حفل التسليم، كما جاء في النص الإخباري الصحفي!.

(٢) تميزت البنية اللغوية في كلا النصين بالبساطة وتكوين الجمل السريعة، بيد أن هذه السمات في النص الإخباري التلفزيوني أكثر ظهورًا نسبيًا، ويرتبط ذلك بالتزامن في الأداء بين حالة التلفظ وحالة الاستماع.

(٣) يتشابه النصان إلى حد كبير جدًا في استخدام الروابط وحروف العطف، فإذا كان النص الأول قد استخدم منها (كما) و(كذلك) في جملتين متعاقبتين، فإن النص الثاني قد استخدم (كما) و(أيضًا) في جملتين متعاقبتين كذلك.

على أية حال، فإن الذي يعنينا هنا هو أن النص الإخباري: الإذاعي أو التلفزيوني، لا يعد نصًا شفهيًا. وليست أوجه التشابه بينه وبين النص الإخباري الصحفي إلا دليلاً على دخوله في النصوص المكتوبة. إن النص الإخباري: الإذاعي أو التلفزيوني ليس نصًا شفهيًا؛ لأنه قد كتب على نحو خاص؛ فهو أسلوب مبسط من أساليب الكتابة. لقد انتفت سمة المشافهة في النص الإخباري التلفزيوني للأسباب التالية:

(١) أن هذا النص ليس تلقائيًا، ولكنه نص معد. ومن أجل ذلك خلا من أية علامات على التردد أو اللجاجة أو الوقفات اللافتة للنظر، فمثل هذه العلامات لا نتوقع دخولها في مثل هذا النص؛ لأنها سوف تكون – إذ ذاك – علامات مستهجنة.

(٢) لا يشتمل هذا النص على أخطاء لغوية مما قد يقع في اللغة المنطوقة، ولا يشتمل على علامات مميزة لعملية المشافهة (مثل: حسنًا، إذن، ونحوهما) ولا على وسائل لغوية تعبيرية (نحو تقطيع الجمل أو تجزئتها أو عناصر لغوية محذوفة أو جمل ناقصة).

ومن أجل ذلك كله، فهو نص تتميز بنيته بالسلاسة والتماسك.

(٣) يشتمل هذا النص على وسائل لغوية ملفوظة ورقيًا؛ أي ما نعهده مكتوبًا على الورق، نحو: شهد هذا الاحتفال – ألقى كلمة – تشييد هذا الصرح العظيم... الخ.